

العدالة الاجتماعية ضوابط ومعالم دراسة مقاصدية في ضوء السنة

إعداد: د. أحمد المجتبي بانقا أحمد علي

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

بسم الله الرحمن الرحيم

العدالة الاجتماعية ضوابط ومعالم دراسة مقاصدية في ضوء السنة

ملخص البحث:

العدالة الاجتماعية أبرز مرتكزات التنمية البشرية التي تطمح لها الأمم في سبيل الرقي والتقدم في مناحي الحياة المختلفة السياسية، والفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية.. الخ. وفي منظور الإسلام لها منطلقات وضوابط ومعايير ومعالم مبنية على عقيدة تعبدية أمر الله تعالى بها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ..(90)﴾ النحل، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ(58)﴾¹ النساء، فالعدالة الاجتماعية في الإسلام مرتبطة بمعاني روحية عميقة، تجسد أواصر المحبة والتكافل والتآخي والتراحم. أصلها القرآن الكريم وجسدتها السنة النبوية في دولة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلافة الراشدة، رغم التعددية والتباين في المجتمع المدني. ومن ثم برزت معوقات تخلفت بموجبها الأمة المسلمة عن ركاب التنمية والتطور، وانفرد الغرب بالريادة المادية، والتي أحدثت تغييراً أفاد الإنسانية في بعض جوانبها، مما أوجب تقويمها والاستفادة من معطياتها، مع أنه تطور افتقد لقيم الإسلام ذات المقاصد السامية والمعان الحكيمية. عليه فإن مدار البحث معني بتأصيل العدالة الاجتماعية كقضية تعبر عن غايات سامية، وهي سياسة الناس وفق نوااميس الكون التي ارتسمها الله تعالى لعباده، لتكتمل سلسلة العبودية التي أسست لشمولية العبادة لأركان الحياة البشرية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162)﴾ الأنعام، ومن خلال ذلك يسعى البحث لاستنباط وسائل وعوامل ومظاهر العدالة الاجتماعية من واقع التأصيل والمقصد الشرعي في الواقع المعاصر، ومن ثم التقعيد لمحورية العدالة الاجتماعية ومفصليتها وريادتها وفق قوانين التمكين التي كتبها الله تعالى للصلحين من عباده، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)﴾ الحج. وتهدف الدراسة إلى: التعريف بمفهوم العدالة الاجتماعية. إبراز معالم ومظاهر ومرتكزات ومقاصد العدالة الاجتماعية في دولة الرسول صلى الله عليه وسلم. دراسة تحديات العدالة الاجتماعية، في سبيل المتغيرات المعاصرة. وانبتت الدراسة على المنهج الاستقرائي: باستقراء قضايا العدالة الاجتماعية المتعلقة بالدراسة من مصادرها المختلفة، ومن ثم المنهج التحليلي النقدي: المعني بتحليل ونقد قضايا العدالة الاجتماعية في السنة، لتتأطر من خلال ذلك المحفزات والمعطلات، والحلول الفاعلة في النهوض الحضاري المنشود.

¹ قَالَ الرَّازِي : "أجمعوا على أن من كان حاكماً وجب عليه أن يحكم بالعدل، وقد أوجب الله العدل على جميع الخلق حتى الأنبياء. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ..(26)﴾ ص - الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000م، ط1) ج1، ص319.

العدالة الاجتماعية مدارس في المصطلحات:

مفهوم العدالة: العدالة مصدر عدل، والعدل خلاف الجور، وهي كلمة لها معانٍ متباينة، منها الاستقامة، والإنصاف، والمساواة، والحياد، والعدول عن الأمر²، فيفهم مراد معناها من مسافات الكلام، الذي وردت فيه، وبما أن مساق البحث معني بالعدالة الاجتماعية، معالمها وضوابطها والمقصد الشرعي منها، فيمكننا الوقوف على نماذج من الأدلة المعرفية والشارحة لمرادفات العدالة وفق سياق البحث على سبيل المثال:

- الاستقامة على الحق: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(90)﴾ النحل، قال ابن عيينة: "العدل... استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملاً"³، وعدَّ الصحابي الجليل ابن مسعود هذه الآية بأنها أجمع آية للخير والشر⁴.

- الإنصاف: وهو أحد معاني العدالة، ويعني به امتثال العدالة في الحكم بين الناس، وحذر على أن يكون بغض الناس سبباً للحيد عن إنصافهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ(8)﴾ المائدة. فالآية نعت عن الظلم والحياد عن العدالة والإنصاف، مهما توافرت الأسباب والدواعي في ذلك.

- المساواة: المساواة تعني العدل في التعامل مع الناس، قال الزبيدي: "فإنَّ العَدْلَ: هو المساواة في المكافأة إن خيراً فحَيْرٌ وإن شَرّاً فَشَرٌّ"⁵، وهي أشمل من الإنصاف، بحيث تتعلق بمفردات العدالة بشتى صورها، بدءاً من الأسرة كالزوجات والأولاد، وأفراد المجتمع، وبيئة العمل في الحقوق والواجبات، مثال ذلك عن النعمان بن بشير قال: انطلق بي أبي يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْهَدْ أُنِّي قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي، فَقَالَ: «أَكُلْ بَيْتِكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتُ النُّعْمَانَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَأَشْهَدْ عَلَيَّ هَذَا غَيْرِي، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جُورٍ، ثُمَّ قَالَ: أَيَسْرُكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَلَا إِدَاءً»⁶.

² ابن منظور، محمد بن مكرم الأفيقي، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط1) ج11، ص430.

³ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م) ج4، ص595.

⁴ نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان (بيروت: لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ - 1996م) ج4، 298. الفحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى (مكة المكرمة: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1423هـ) جلس شتير بن شكل ومسروق بن الأجدع فقال أحدهما لصاحبه: حدث بما سمعت من عبد الله وأصدقك أو أحدث وتصدقني قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: إن أجمع آية في القرآن للخير والشر في سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(90)﴾ قال: صدقت، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ) ج2، ص473.

⁵ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار الهداية، د.ت، د.ط)، ج29، ص444.

⁶ مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: (دار الجيل: دار الآفاق الجديدة: بيروت، د.ت) ج5، ص66، حديث رقم4272.

العدالة الاجتماعية اصطلاحاً: ترتبط قضايا العدالة بالاجتماع، والسياسة، والاقتصاد، والدين، وتنشط بشكل متفاوت وفق مقتضاياتها وملابساتها المحلية والحقل الذي تتعلق به. كما لها من المرتكزات والمبادئ التي تتميز بها، وأبرزها: مبدأ المساواة في توزيع الفرص والواجبات، والتكافل الاجتماعي، والحرية،... الخ. وهي تختلف في تحديدها وفق المتغيرات الثقافية والاجتماعية، والاعتقادية، لكل بيئة وجماعة، ومبدأ تطبيق العدالة يتوقف على مبدأ تطبيق القانون وضعياً كان أو دينياً. لذا فإن تحديدها اصطلاحياً شابه كثير من الاختلاف، فقيل العدالة الاجتماعية هي: "المساواة في الحقوق والواجبات، المساواة الطبيعية المحكومة بقانون الفطرة القاضي بوجود تفاوت في القدرات والملكات"⁷. ويقول الدكتور صليبا: "هي احترام حقوق المجتمع... كتنظيم العمل ومنح العمال أجوراً متناسبة مع كفاءتهم وتوفير الخدمات والتأمينات الاجتماعيّة"⁸

أما في المنهج الاسلامي فإن معنى العدالة الاجتماعية هادفة إلى تحقيق ما هو أشمل من ذلك بكثير فهي تعني في مجملها الدين الإسلامي والاستقامة على أمره ونهيه، لذا فإن العدالة الاجتماعية تذوب في مفصليات المنظومة الإسلامية، بل هي جزء من العمل الإسلامي الذي لا يميزها عن غيرها، لأنها تتشعب في جميع الواجبات والحقوق، والعبادات والمعاملات، فهي الراعية للحقوق والواجبات بكافة أقسامهما. وعرفها الجرجاني بقوله: "الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينا"⁹.

معالم العدالة الاجتماعية في واقع التاريخ البشري: التاريخ البشري، صفحة تزخر بالتجارب الحضارية المتعددة والمتباينة في التعامل مع قضايا العدالة البشرية، صَوَّر القرآن الكريم جانباً مهماً من تلك المظاهر المصاحبة للحضارات البشرية وتجاربها في مجال العدالة الاجتماعية، ولم تخلوا حضارة وضعية، نشأة في مجتمع مشرك من نوع من أنواع انتهاكات العدالة الاجتماعية في صورة من صورها، ولكنها انتهاكات بنسب متفاوتة، تنشط في جوانب مختلفة، تشترك في قضايا المحسوبية، والتسلط، والإقصاء، وازدراء الرعية، والاستخفاف بها وتسفيه أحلامها، والغش والاحتيال، واستعباد الناس، وتجهيلهم، وتعظيم الأنفس، والنفاق السياسي والاجتماعي، وتقسيم الناس وفق العصبية القومية، والدينية، والاقتصادية، نلتمسها من سياق حديث النبي صلى الله عليه وسلم في شأن المخزومية التي سرقت، حيث بين فيه أن استثناء بعض الأفراد من تطبيقات العدالة هي جزء من التراث الجاهلي، قال: «يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا

⁷ محمد أحمد عبد الغني، العدالة الاجتماعيّة في ضوء الفكر الإسلامي المعاصر، اطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلاميّة، إشراف: الأستاذ الدكتور نايف معروف 1424هـ / 2004م، ص 85

⁸ د. جميل، المعجم الفلسفي لألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م) ج 2، ص 58-60. وانظر: العدالة الاجتماعيّة في ضوء الفكر الإسلامي المعاصر، ص 156.

⁹ الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط 1، 1405هـ)، ص 191.

سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»¹⁰، ولقد لعب المصلحون عبر التاريخ البشري، من الأنبياء ودعاة الحق، دوراً مهماً للتصديري لتلك الانتهاكات والعودة بالبشرية لعدالة الإسلام، وكمال منهجه، ووضوح سبيله في تحقيق العدالة الاجتماعية في أسما درجاتها، وسلوكوا في ذلك طرق فيها كثير من المصاعب، والتعذيب والتدليس، والسب والشتم، ولقد انتصروا لمبادئ العدالة المفضية لتوحيد الله تعالى، وسعدت البشرية بنور الأنبياء، من لدن نوح عليه السلام، وتوجت بالدين المهيم الذي اتسم بمعان الرحمة والشمولية، والعالمية، والخلود، والعدالة، والوسطية تلك هي خصائص الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله تعالى للمؤمنين من العباد.

- نماذج تطبيقية على معالم العدالة الاجتماعية في تاريخ البشرية: حفل تاريخ البشرية بنماذج حضارية نالت قسطاً وافراً من تطبيقات أسس العدالة الاجتماعية، وإظهار معالمها، وتحقيق نتائجها، ترتب على ذلك ارتقاء فكري وتحرر عقدي، ونما روحي، سمت به نفوس العباد وتوشحت بنور العدل والأخوة، والإحسان، كيف لا وهي دعوة تولاهها الرسل والأنبياء من واقع إصلاح للمجتمعات التي نشأ فيها، وحققوا بها نجاحات في وجوه طغيان السلاطين، وغفلة الرعية، فطبّقوا مراحل العدالة الاجتماعية بأكمل أوجهها، ومن أشهر القصص في تطبيق العدالة الاجتماعية بين كافة الكائنات هي مملكة نبي الله سليمان عليه السلام التي بلغت حضارة مزدهرة، طبقت أسس العدالة والمساواة في أعلى درجاتها، وكان سليمان قاضياً ورث القضاء عن أبيه نبي الله داود عليه السلام، وورث منه جوانب العدل والإصلاح، مكن الله تعالى له في الأرض، حيث حكى القرآن جانباً من عدله في القضاء قال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخُكِّمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79)﴾ الأنبياء. وكان كثير الاعتناء بشأن دولته، وتفقد رعيته عليه السلام، وكان يتابع باستمرار أحوال الخلق والرعية، واتسم مع العدالة بالرحمة، واحترام مقدرات الآخرين، حيث تبسم من قول النملة، وأحسن السمع لخبير الهدهد ولم يكذبه في خبره، بينما فضل التثبت حتى لا ينتهك أسس العدالة، قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (22)﴾ النمل. قال تعالى: ﴿قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27)﴾ النمل، واستفاد عليه السلام من ذلك في الدعوة إلى الله تعالى، بأن دانت له مملكة سبأ وأسلمت على يديه الملكة بلقيس، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ النمل، وتوجت مظاهر العدالة الاجتماعية في زمانه على أعلى مستوياتها.

- معالم انتهاكات العدالة الاجتماعية في تاريخ البشرية: شهد التاريخ البشري نماذج تفننت في شتى أنواع الانتهاكات لأسس العدالة الاجتماعية، ومثال ذلك ما واجهه الأنبياء والمرسلين والمصلحين، في سبيل مقارعة الظلم

¹⁰ البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط3، 1407 - 1987م) ج6، ص2491، حديث رقم 6406.

والتسلط، وتفشيته في تلك المجتمعات على مستوى حكماها ومحكوميتها فأخذ كثير من أفراد تلك الحضارات بنصيب من تلك الانتهاكات، فعاشت تلك الحضارات في جاهلية مطبقة، بعيدة كل البعد عن أسس العدالة الاجتماعية، ولم تعي كثير من تلك المجتمعات سنن الله تعالى في الأمم والحضارات، وما أصابها من هلاك ودمار، نتيجة لما قاموا به من ظلم، واضطهاد، وتسلط، وتمييز بين بني البشر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾. وتفاوتت أسباب الاستبداد ودرجاتها باختلاف الأمم والشعوب ولعل من أبرز أسباب انتهاكات العدالة الاجتماعية عبر التاريخ البشري، تتمثل في:

- **تسلط الحكام وجبروتهم:** استقل بعض الحكام والملوك مناصبهم، فبدل أن يكونوا منصفين مع الرعية لجأوا إلى تخويف الرعية، وبث الزعر في نفوسهم، وتسلطوا على رقاب الناس، فمنهم من اشتهر بقتل الرعية، ومنهم من نصب نفسه إله على الناس، ومارسوا أبشع أنواع التعذيب والتنكيل بكل من سولت له نفسه التوجه نحو الإصلاح الاجتماعي، ولقد صور لنا القرآن جانباً من ذلك، فما فعله النمرود مع الخليل إبراهيم عليه السلام إلا واحداً من تلك الأمثلة، حيث ادعى ما ليس له بحق، فزعم أنه يحيى ويميت، ومارس مع الخليل أسلوب الترويع، وحرمه من حقوقه في العدالة الاجتماعية في أعلى درجاتها، وبعد أن أفحمه الخليل بالحجة الدامغة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)﴾ البقرة. وصل به الأمر أن ألقاه في النار، بل جمع عليه حشد من الناس ليشهدوا ويؤيدوا ما قام به من تعذيب وحرق لواحد من الناس، حتى يكون عبرة لكل من تسول له نفسه، أي صورة من صور الإصلاح، بدلاً من أن يوفر هذا الملك لرعيته، الحماية والأمن، ولكن أمر الله نافذ في كل من طغى وتجبر وتصدى لدعوة الإصلاح، ولما أنجاه الله تعالى من النار وفضح أمر النمرود، قال تعالى: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98)﴾ الصافات، ما كان منه إلا أن قام بطرده، حتى تنسى هذه الحادثة وتزال من قلوب وعقول الرعية التي استرأت حكم الطغاة والجبارين، فقصمه الله تعالى بما يتناسب مع ما اقترفت يده، فلما بلغ به الكفر، والجبروت مبلغاً زعم أنه قاتل إله إبراهيم في السماء، قال ابن عباس: " أن أول من رمى بقوس الرجل النمرود بن كنعان، ... أمر بالقوس وكانت قوساً عظيماً يجذبها بحركة كاللؤلؤ لِقوتها فجعل السهم فيها ورمى بها نحو السماء فغاب السهم عن بصره ساعة ثم رجع إليه مدمى لما أراد الله من خذلانه وتماديه على الكفر وعذابه بما سبق في علمه فقال: قد قتلت إله السماء فحول النسرين وجعل التابوت نحو الأرض حتى هبط إلى الأرض فإزداد استكباراً وعلوا في الأرض حتى أهلكه الله عز وجل بأضعف خلقه وهي البعوضة"¹¹ وفي شأنه قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْفَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّفْفُ مِنْ قَوْفِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (26)﴾ النحل¹².

¹¹ ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الفروسية، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان (السعودية: حائل: دار الأندلس، د1، 1414 - 1993)، ص435.

¹² القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سميح البخاري (الرياض: دار عالم الكتب، 1423هـ/ 2003م) ج9، ص381.

- الاستخفاف بالرعية وازدراء أفرادها: من المعالم المناهضة للعدالة الاجتماعية، فرعون الذي وصفه الله تعالى بأنه طغى، ونازع الله تعالى في ربه واستخف بعقول رعيته فدعاهم لكفره، فأطاعوه وعصوا موسى عليه السلام، فضرب بذلك أعلى نماذج الانتهاكات لمبادئ العدالة الاجتماعية قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (54) الزخرف، سفه دعوة موسى عليه السلام وحاربه، وحاول بائسا مناظرة الكليم إلا أن الله تعالى أخرسه، فانقلب السحر على الساحر فأمن السحرة كلهم أجمعين، بما عينوه من الحق المبين، وفي موقف ينم على العجب والتكبر حيث قام بقتل الناس بسبب إيمانهم العقدي، قتلهم أجمعين، ونتج عن طول أمد فساد فرعون وبشاعته، أن تبعه قومه، استخف بعقولهم، وسخر من قدرة تمييزهم، فأطاعوه في ظلمه وجبروته، وأقره على ذلك، وبين الله تعالى أنهم في أصلهم فاسقين، فهان على فرعون الاستخفاف بهم، فاستخفاف الطغاة للرعية أمر مألوف؛ بما يقومون به من حجب المعرفة، وطمس الحقائق، وإلقاء المؤثرات سيما المعتقدات، حتى تنطبع بها أنفسهم. ومن ثم يسهل استخفافهم، وتلين قيادتهم، ومن هنا جاء السياق القرآني معللاً استجابة قوم فرعون له، فقال: ﴿...إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (54) الزخرف. - ولا يستطيع الطغاة فعل ذلك بالمؤمنين لأنهم أبعد من أن يستخف بهم، لرسوخ عقيدتهم، واستنارت بصائرهم بنور التوحيد وكمال الإيمان- وفي الاتجاه الآخر قدم أبشع صور انتهاكات العدالة الاجتماعية بما قام به من قمع وقتيل وتهجير، لكل من خالفه الفكر والمعتقد، وما فعله ببني إسرائيل ببعيد حيث قتل أبنائهم، واستحیی نساءهم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (4) القصص، ولم تنجوا من بطشه حتى أقرب الناس إليه، زوجته المباركة آسيا بنت مزاحم رضي الله عنها، التي ضرب الله بها مثلاً للمرأة المؤمنة الصابرة، بما تلقته من تعذيب على يد زوجها حتى الموت، قال تعالى: ﴿وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (11) التحريم. ثم كان عاقبة الظالمين أن أهلكه الله تعالى على مراحل متعددة، ارسل عليهم آيات العذاب في الدنيا وهي تسع آيات ووصفهم بعدها بأنهم مستكبرون، وكانوا من قبل ذلك مجرمين، وهذه سنة الله تعالى أن يأخذ أرباب الظلم والطغيان بالضراء والسراء، قبل أن يهلكهم.

وما قام الإسلام إلا على أنقاض جاهلية مطبقة، انتهكت أسس العدالة الاجتماعية في أعلى مستوياتها، بلغ الأمر بهم بقتل أبنائهم وبناتهم، ودخلوا في حروب تنم أسبابها عن سفه القوم، واستحلوا استعباد البشر، وانتهكت حقوق النساء وانتشرت الفاحشة، والظلم الاجتماعي، لذلك كانت توجيهات الإسلام واضحة في تحقيق العدل وجعلها مبدأ للحاكم والمحكوم، وسن قوانين العتق من العبودية والتسلط، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (58) النساء.

- الفساد الاقتصادي والمالي: هذه السيمة في غالبها اتسمت بها معظم الحضارات الغابرة التي اتسمت بالظلم والطغيان، وأشهر تلك الأمم التي انتهكت العدالة الاجتماعية في فسادها المالي، قوم نبي الله شعيب عليه السلام، فاشتهروا بالتطيف في المكيال والميزان، كما أنهم كانوا يمارسون العصبية في أبشع صورها، فذكروا أن الذي صدهم عن قتل شعيب، هو رهطه وقومه، أما هو في عقولهم رجل ضعيف لا وزن له عندهم، وأعرضوا عن قوله، لأنه يتنافى عما عاشوا عليه من انتهاكات في الميزان التجاري، حيث اشتهروا بالفساد في نقص المكيال والميزان والغش، فانصبت دعوة شعيب لهم في التركيز على تطهير النفس من دنس الكفر والشرك، فالإيمان هو أساس كل صلاح كما أن الكفر والشرك أساس كل فساد، ومن ثم العدالة الاجتماعية بالإحسان في التعاملات التجارية، بأن يحسنوا في موازينهم ومكاييلهم، ولا يبخسوا الناس أشياءهم، وبين لهم أن العدالة الاجتماعية كفيلة ببسط الأمن الاجتماعي، وتحقيق الازدهار التجاري، والفوز برضى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَيْكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (84)﴾ فصلت، فكان نتيجة هذا الجحود والإصرار على معاصي الله تعالى أن عذبهم الله تعالى بذنوبهم، فأحرقتهم النار بما يملكون، قال عبد الله بن عباس: "بعث الله عليهم حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هرابا إلى البرية فبعث الله سحابة فأظلمتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنأدى بعضهم بعضا حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم نارا، قال عبد الله بن عباس: "فذاك عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم"¹³. وصار تاريخهم قرآنا يتلى وقاعدة تحذيرية من عاقبة كل من تسول له نفسه التعدي على أسس العدالة الاجتماعية بكافة أقسامها.

- العصبية: دعوة الرجل إلى نصره عصيته والتألب معهم، على من يعاديهم ظالمين أو مظلومين¹⁴، والعصبية واحدة من أبرز المعوقات للعدالة الاجتماعية عبر التاريخ البشري، وهي على صور شتى منها عصبية العرق، وعصبية اللون، وعصبية القبيلة، والعصبية الحزبية، و... الخ. قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: "غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصاريا فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا لأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ ثم قال: ما شأنهم؟ . فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعوها فإنها خبيثة، وقال عبد الله بن أبي سلول: أقدم تداعوا علينا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن

¹³ الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411 - 1990م)،

ج2، ص620، حديث رقم 4074.

¹⁴ لسان العرب، ج1، ص602 - تاج العروس، ج3، ص381.

الأعز منها الأذل، فقال عمر: ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث؟ لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه¹⁵

والقبلية هي الغالبة على تلك العصبية في التاريخ، وما صاحبها من تفاخر بالأنساب¹⁶، وازدراء الغير، كانت هذه العصبية واجهة لصد الإصلاح الاجتماعي في جميع جوانبه، وما كان يقوم به أهل الجاهلية من حروب، واستعباد للآخرين، وإهانة للمرأة إلا وجها من وجوه العصبية، فدعا القرآن الناس إلى التعارف من واقع تباين الخلق، وأن الغرض من هذا التنوع ما هو إلا وجه من أوجه تكامل العدالة الاجتماعية، وآية دالة على توحيده، ودعوة للمساواة، وتحذير ونبذ للعصبية بكافة أشكالها السيئة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (13) الحجرات. ودعا الإسلام إلى ترسيخ مفاهيم المساواة والعدل بين البشرية قال صلى الله عليه وسلم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ وَلَا لَأَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَىٰ أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ»¹⁷، ونبذ الإسلام كل عصبية وحذر منها قال صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَىٰ عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَىٰ عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَىٰ عَصَبِيَّةٍ»¹⁸ وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَىٰ عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فُقُتِلَ فُقُتِلَ جَاهِلِيَّةً»¹⁹.

تفعيل المقاصد الشرعية في النهوض بأسس العدالة الاجتماعية:

تمثل العدالة الاجتماعية نقطة محورية في مفصلية مقاصد الشرع، باعتبار العدالة الاجتماعية تفضي إلى مصالح مشروعة، وتدرء مفسد مدمومة أو تقللها، وهذا الهدف شمولي عنى كافة مناحي الحياة دينية كانت، أو اقتصادية، أو اجتماعية، ولا يسع المجال للتفصيل المسهب لكن يمكن الوقوف على أبرز المحاور المبينة لذلك:

– **العقيدة:** الاعتقاد هو المحرك الأساس للأعمال إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر، يقول محمد هيشور: "...أثبتت التجارب التاريخية أن النظم والعلوم والمعارف والفنون تولدت في أكناف الاعتقاد والإيمان.. والحرك الحقيقي للإنسان هو فطرته وعقيدته، فالإنسان خلق طموحاً إلى كشف الجهول وكسب الأشياء والسيطرة على ما حوله²⁰،

¹⁵ صحيح البخاري، ج3، ص1296. كان ذلك في غزوة بني المصطلق في السنة السادسة من الهجرة، اسم الرجل من المهاجرين جهجاه بن قيس الغفاري، كان أجيرا لعمر بن الخطاب، والأنصاري، هو سنان تداعوا بقومهم عصبية فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم) اتركوا هذه المقالة قبيحة منكورة وكرهية مؤذبة تثير الغضب والتقاتل على الباطل.

¹⁶ ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد (بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ط27، 1415هـ/1994م) ج2، ص471، قال: "الدعاء بدعوى الجاهلية، والتعزى بعزائمهم، كالذعاء إلى القبائل والعصبية لها وللأنساب، ومثله التعصب للمذاهب، والطرائق، والمشايخ، وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبية، وكونه منتسباً إليه، فيدعو إلى ذلك، ويؤالي عليه، ويُعادي عليه، ويُزِنُّ الناس به، كُلُّ هذا من دعوى الجاهلية"

¹⁷ أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ، 1999م)، ج38، ص474.

¹⁸ سنن أبي داود، ج4، ص494، حديث رقم5123.

¹⁹ صحيح مسلم، ج6، ص21، حديث رقم4894.

²⁰ محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1417هـ/1996م)، ص185.

ولكن هذه الاعتقادات الخالية من التوحيد في غالبها ذات طابع سلبى في بعض جوانبها. بينما عقيدة التوحيد هي أساس كل عدل، وهي من أكثر العوامل أثراً في بناء العدالة الاجتماعية، وما أعطيت الخيرية لأمة محمد إلا لما اتصفت به من تطبيقاتها لمبادئ العدالة الاجتماعية، ذات التوجهات العقدية، قال ابن تيمية: "ولقد وصف الله أمة محمد بأنهم أنفع الأمم للخلق، فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110)﴾" آل عمران، ففي أمة محمد من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الذي فيه صلاح العباد، في المعاش والمعاد، ما لم يوجد مثله في الأمتين²¹. شهد على ذلك دولة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما قامت عليه من العدل والرحمة، والمساواة، والتكافل الاجتماعي، وحقوق غير المسلمين. وهي عدالة اتسمت بالشمولية، والوسطية، والفضل، والسماحة، أما من تدبر حضارة الغرب المعاصر وما تبنته من تطبيقات لمبادئ العدالة الاجتماعية، فهي عدالة، لم تراعي مبادئ الدين والعقيدة السليمة، بل قامت على مبدأ الثالث، وما يقوم به المستعمرون، والمنظمات الخدمية من إنفاق طائل في بناء المدارس والمستشفيات وحفر الآبار وغيرها، في الأصل دوافعه عقدية صليبية. لقد صور غوستاف لوبون ذلك بقوله: "أن الروح الدينية هي التي استطاعت بما فرنسا أن تنتصر في كثير من حروبها وأزماتها، ويرى كذلك أنه لاشك في أن تاريخ الأمم السياسي والأدبي وليد معتقداتها²². ويؤكد هرمان دي كسر لنج هذا الحقيقة في كتابه البحث التحليلي لأوروبا: "وكان أعظم ارتكاز حضارة أوروبا على روحها الدينية.. ولست أعني بالروح ذلك الشيء الدال على منطق، أو عقل أو مبادئ، وإنما هو - بصفة عامة - ذلك الشعور القوي في الإنسان الذي تصدر عنه مخترعاته وتصوراته وتبليغه لرسائله وقدرته الخلقية على الأشياء.. إن الروح المسيحية ومبدأها الخلقى هما القاعدتان اللتان شيدت عليهما أوروبا سيادتها التاريخية"²³.

المسؤولية الاجتماعية العادلة: المسؤولية الاجتماعية في الإسلام متجزرة قائمة على مبدأ الواجب الديني، والفضيلة، فمنطلقها العقدية والأخلاق، وارتبطت بقضية الثواب والعقاب، في جميع ميادينها، دينية كانت، أو سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية، باعتبارها أمراً رانياً مما يكسبها النجاح والديمومة، والمنفعة المطلقة والمتداخلة والمتراطة بين أفراد المجتمع كل وفق اختصاصه ومقدراته، وهو مقصد شرعي يحقق مصالح عظيمة للأمة الإسلامية أفراداً وجماعات، بل هو الضامن لسلسلة الإصلاح الاجتماعي والمحقق للأمن المجتمعي، والأمن الاقتصادي، والأمن التربوي، مما يخلق بيئة مجتمعية متوائمة، وآمنة، تؤدي واجبتها على أكمل وجه، يتضح ذلك من خلال سنة النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من قضايا التشريع الإسلامي، على سبيل المثال الأنصبة في فقه الزكاة، باعتبارها مسؤولية تعبدية دينية اقتصادية اجتماعية، من الدرجة الأولى، حيث حدد النبي صلى الله عليه وسلم التعامل معها بنسب حسابية ثابتة،

²¹ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: د.علي حسن ناصر، د.عبد العزيز إبراهيم العسكر، د. حمدان محمد (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1414) ج3، ص105-106.

²² انظر غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة عادل زعينز، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، 1957، 2م)، ص161.

²³ انظر هرمان دي كسر لنج، البحث التحليلي لأوروبا، (جريدة البصائر)، ص61-62.

تعددت مصادرها ومصارفها كزكاة الأنعام، وعروض التجارة والركاز، والنقدين، عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كتب كتاب الصدقة فلم يخرجها إلى عماله حتى قبض، فقرنه بسيفه، فلما قبض عمل به أبو بكر حتى قبض، وعمر حتى قبض، وكان فيه في خمس من الإبل شاة، وفي عشر شاتان، وفي خمس عشرة ثلاث شياه، وفي عشرين أربع شياه، وفي خمس وعشرين بنت مخاض إلى خمس وثلاثين، فإذا زادت ففيها ابنة لبون إلى خمس وأربعين فإذا زادت ففيها حقة إلى ستين، فإذا زادت فجذعة إلى خمس وسبعين، فإذا زادت ففيها ابنتا لبون إلى تسعين، فإذا زادت ففيها حقتان إلى عشرين ومائة، فإذا زادت على عشرين ومائة ففي كل خمسين حقة، وفي كل أربعين ابن لبون. وفي الشاء في كل أربعين شاة شاة إلى عشرين ومائة، فإذا زادت فشاتان إلى مائتين، فإذا زادت فثلاث شياه إلى ثلاثمائة شاة، فإذا زادت على ثلاثمائة ففي كل مائة شاة شاة، ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ أربعمائة، ولا يجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع، مخافة الصدقة، وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية، ولا يؤخذ في الصدقة هرمة، ولا ذات عيب"²⁴، وفوق ذلك فالمسؤولية جمعت بجانب الواجبات، وقضايا التطوع والعمل الخيري المستحب قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (48) الحشر، وقال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (58) الإنسان. فانتظمت المسؤولية الاجتماعية كعمل إنساني انتفعت منه فئات المجتمع كافة غنيها وفقيرها، صغيرها وكبيرها، تحقيقاً لقضايا الاستخلاف، المعنية ببسط الأمن وتحقيق الاستقرار المجتمعي.

فهي مسؤولية شاملة من حكامها إلى أصغر أفراد رعيته، أشار النبي صلى الله عليه وسلم لهذه المسؤولية الشاملة في قوله صلى الله عليه وسلم: "أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهَا، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"²⁵. فالحاكم مسؤول على تحقيق العدالة بين الرعية، وفق حدود المسؤولية المنوطة به، والزوج والوالد راع في بيته، فحددت مسؤوليته من واقع التربية السليمة للأولاد، والعدل بينهم، وإطعامهم وتعليمهم، وتنشئتهم على طاعة الله تعالى، ومعاملة الزوجة بما يرضي الله تعالى، فالأسرة هي البذرة الأولى للبيئة الاجتماعية المنشودة، وكذا الزوجة مسؤولة عن مراعاة حقوق زوجها، وتربية أبنائها وتنشئتهم بما يرضي الله تعالى، وحفظ نفسها وزوجها وماله، وطاعته فيما يرضي الله تعالى، وهذا التسلسل في المسؤولية ضمن منظومة من التسخير الإلهي للبشرية، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ لِنَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (32) الزخرف. وهي شبكة من العلاقات المتداخلة والمتراطة، لذا هي مسؤولية تحمل معاني الرحمة، والتعاون، والعفة، والتجرد، والحسبة، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (2) المائدة. فاكتملت أركانها كمسؤولية روحية مادية ذات منهج رباني، راعى

²⁴ الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرون (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت،

د.ط) ج3، ص17. قال أبو عيسى حديث ابن عمر حديث حسن، قال الشيخ الألباني: صحيح.

²⁵ صحيح البخاري، ج2، ص848، حديث رقم2278.

بجانب الأمر والنهي في تحمل المسؤولية الاجتماعية جوانب أداء تلك المسؤولية، فإن اطمأنت الرعية لقيام الراعي بمسؤوليته تجاهها تفانت في تفعيل مسؤولياتها، وصلح أمر المجتمع، ومن مقاصد الإسلام التحفيز بإقرار الحقوق المترتبة على تلك الوظيفة، فالإمام العادل صاحب المسؤولية، من أقرب الناس لله تعالى، وكذا رب الأسرة الذي أنشأها على مبادئ الدين، والزوجة المطيعة البرة، كل هؤلاء هدف الإسلام لتحفيزهم وربط أعمالهم بالجزاء في الآخرة، وهو أكبر معين لتحمل المسؤولية على وجهها الأكمل.

- تفعيل قضايا الحقوق والواجبات: الحقوق والواجبات من مرتكزات العدالة الاجتماعية، وهم ركنان متلازمان متفاعلان في جميع القضايا المتعلقة بالمجتمع البشري، فإن كانت الحقوق تعبر عن حرية الفرد وما يتمتع به من انسجام وتكامل مجتمعي، يكفل له حق التمتع بالحياة، والعيش في بيئة سليمة معافاة، وأمنة، والعيش بسلام ووثام من خلال حقوقه كمواطن وجار، وأب، وأم، وزوج، وزوجة.. الخ، فإن أسمى المقاصد الشرعية من ذلك، هو إظهار منهج الإسلام القائم على الإيفاء بحقوق الآخرين، باعتباره جانباً من جوانب العدل المجتمعي، وبيان مدى الحيادية التي اتبعها المنهج الإسلامي، فأمر بإعطاء حق الحاكم من سماع وطاعة ونصح، وحق الوالدين، من رعاية وحب واحترام، وحق الجار، وحق الفقراء والمساكين، وحق العمال والموظفين، بل سن الإسلام هذا المنهج لمقصد تعبدية، يشير فيه إلى عدالة الله المطلقة، التي تبين الهدف من الخلق، وهو الشعور بالانتماء إلى أخوة وبيئة إسلامية معافاة تهدف إلى طاعة الله تعالى في القول والعمل قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162)﴾ الأنعام. وفي الواقع المعاصر صدحت المجتمعات الغربية بهذه الحقوق، وسنت لها القوانين التي تنظمها، وركزت فيها على القضايا المادية البحتة، دون الالتفات للقضايا الروحية منها، ولقد نجحت في ذلك وازدهرت بها حضارة الغرب، وتخلفت عن ذلك كثير من الدول التي تدين بالإسلام، فأصبح حلم كثير من أفراد المسلمين الهروب للنظم الغربية التي تكفل للناس حقوقهم التي سلبوها في بلاد الإسلام، بعد أن كان صدر الإسلام ملازماً للمغلوبية، فأوت أفئدة الناس لدولة الرسول صلى الله عليه، وسلم لما اتسمت به من تأصيل لحقوق الإنسان، وحشد لذلك منظومة متكاملة، بدأ بحرية الاعتقاد، وحق المواطنة، وما يتبعها من حق التعليم والعيش في جو آمن وبيئة سليمة، فتعددت الأعراف في دولته كان فيهم اليهود، والمنافقون، بالإضافة للمسلمين، فسن لليهود حقوقهم، وللمسلمين حقوقهم، ومن حقوق اليهود حق التعبد، وحق الاحتكام، وممارسة العمل، وحق التنعم بالأمن المجتمعي،.. الخ. أما فيما يختص بالواجبات، فهي الأفعال التي يجب على الفرد الالتزام بها تجاه المجتمع والوطن، كما تُحقق الواجبات كرامة الإنسان ومصالحه، فهو الركن المكمل للحقوق، فالتفريط في الواجبات ينعكس سلباً على حقوق الآخرين، فالواجبات هي الالتزامات التي تملئها قوانين الشريعة الإسلامية على أفرادها، وهو واجب أخلاقي ملزم لكل فرد، بدأ بواجبه تجاه دينه وربه، وهو ملزم له كمسلم مراعاة حقوق الله تعالى عليه، وما فرضه عليه من تقويم لسلوكه، وبذل الجهد في التفاني في خدمة الناس، كالواجبات الأسرية كواجب الإنسان نحو والديه، حيث أوجب الله تعالى عليه برهما والإحسان إليهما وشكرهما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (22) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا

كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (23) ﴿الإسراء﴾، وواجباته تجاه أولاده وزوجته، وواجبات العمل العام سياسياً كان أو اجتماعياً أو اقتصادياً. وهذه الحقوق والواجبات تعكس رحمة الإسلام، وتوجيهه لسلوك أفراد المجتمع، وحمايته للإنسان في جميع الظروف، وداعياً إلى التعاون على البر والتقوى، في إنفاذ الحقوق والواجبات، واحترام حقوق الأفراد وحررياتهم، نوع من أنواع الواجب الذي يمليه علينا الشرع الإسلامي، ومن أبرز الحقوق العامة التي نصت عليها الشريعة الإسلامية حق الحياة، حق المواطنة، حق المساواة، حق الحرية، حق التعليم، حق العمل، حق التظلم والمرافعة إلى الحكام، الخ.

فالإسلام كفل هذه الحقوق بروادع مادية بما سنه من قانون العقوبات، في حالة التعدي على حقوق الآخرين، وبما سنه من قوانين ذات رادع معنوي مرتبطة بقضية الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي، فما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في شأن المخزومية التي سرقت، ونتيجة لحداثة الدولة الإسلامية فقد طلبوا الاستشفاع فيها باعتبارها من علية القوم، فصدق النبي صلى الله عليه وسلم بالحق وسن وفق ذلك قانوناً بين فيه تفعليل مبدأ الحقوق والواجبات، فقال: «أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب، قال: يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»²⁶، وقال صلى الله عليه وسلم: «إنكم تحتصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها»²⁷ فضلاً عن ذلك كفل الشرع التمتع بحقوق الأخوة المعنوية، إن كانت أخوة الدين أو أخوة الإنسانية، فالنبي صلى الله عليه وسلم أول ما قام به عند دخول المدينة، آخى بين المهاجرين والأنصار، وهذه الأخوة انطوت عليها حقوق مادية ومعنوية، ثم سن دستور المدينة الذي كفل لجميع سكان المدينة من المسلمين وغيرهم التمتع بحقوق المواطنة، والعيش في وئام وتلاحم، وشدد النبي صلى الله عليه وسلم على المسلمين في أن يحسنوا تعاملهم ويحفظوا حقوق غير المسلمين، وعدم ظلمهم والتعدي على حقوقهم فقال صلى الله عليه وسلم: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»²⁸ وكفل لهم حماية أبدانهم ودمائهم: قال صلى الله عليه وسلم: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»²⁹ ورأى عمر بن الخطاب شيخاً يهودياً يسأل الناس فسأله عن ذلك، فعرف أن الشيخوخة والحاجة ألجأتاه إلى ذلك، فأخذه وذهب به إلى خازن بيت مال المسلمين وأمره أن يفرض له ولأمثاله من بيت المال ما يكفيهم ويصلح شأنهم، وقال في ذلك: "ما أنصفناك أن كنا أخذنا منك الجزية في شيبتك، ثم ضيعناك في كبرك، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه"³⁰.

²⁶ صحيح البخاري، ج6، ص2491، حديث رقم6406.

²⁷ صحيح البخاري، ج2، ص952، حديث رقم2534.

²⁸ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت، دط) ج3، ص136، حديث رقم3054.

²⁹ صحيح البخاري، ج3، ص1155، حديث رقم2995.

³⁰ المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1401، 5/1981م) ج4، ص498، حديث رقم11477، عزاه لأبي عبيد وابن زنجويه ع- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، أحكام أهل

تفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي:

التكافل الاجتماعي هو نظام مشاركة مجتمعية قائم على تحقيق المصالح ودفع المفساد، اقتصادية كانت، أو اجتماعية، أو تربوية، أو دينية، أو ثقافية، أو صحية.. الخ. ومن أبرز قضاياها تخفيف حدة الفقر والعوز في المجتمع، وإزالة الفوارق بين بني البشر، وما تسببه من ضغائن وشحناء وحسد، - حيث يتوفر توازن مجتمعي بين الأغنياء والفقراء، بين الحاكم والرعية-، بتوفير الحد الأدنى من أسباب المعونة المادية التي تعينه على توفير لقمة العيش، اتفقت على ذلك جميع الأنظمة الشرعية منها والوضعية³¹، وفي الإسلام فإن مفهوم التكافل الاجتماعي فيه جامعاً شاملاً للنواحي المادية منها والمعنوية، ومرتباً في جمع الثروة وتوزيعها وفق الأولويات، يقول القرطبي في الزكاة: "إن الزكاة - بالنظر إلى مصارفها التي حددها القرآن وفصلتها السنة- قد عملت لتحقيق عدة أهداف روحية وأخلاقية واجتماعية وسياسية، ولهذا تصرف على المؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله، فهي أوسع مدى، وأبعد أهدافاً من الزكاة في الأديان الأخرى"³². باعتبار التكافل الاجتماعي فريضة ملزمة على كل مسلم، حيث يقوم التكافل على مبدأ الأخوة الإسلامية، وسن التراحم لسد الحاجات والعوز الذي تعاني منه شريحة الفقراء والمساكين وابن السبيل، والمرضى، حيث فتح الإسلام أبواب الخير على مصرعيه، وسن فرائض الزكاة، وحث على الصدقات، وبذل الخير في كثير من الأصعدة، كالوقف، والنفقة على الأسرة، والأقربين³³، والمساكين، واليتامى³⁴، والعجزة والضعفاء واللقطاء، في كثير من الآيات والأحاديث النبوية الدالة على مفعول مبدأ التكافل الاجتماعي، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (260)﴾ البقرة، وقال عز وجل أيضاً: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (271)﴾ البقرة، وقال صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»³⁵.

الذمة، تحقيق: يوسف أحمد البكري - شاعر توفيق العاروري (الدمام: بيروت: رمادي للنشر- دار ابن حزم، د1، 1418 - 1997م) ج1، ص144. الخراج، ص 126.

³¹ إن كان تركيز الأنظمة الوضعية على الجوانب المادية للتكافل الاجتماعي وهذا أمر محمود ويسمونه الضمان الاجتماعي، بما فيه من إخفاقات ودعوى للتكاسل استقلالها بعض ضعاف النفوس، واعتمدوا على المعونات بدلا من السعي وراء العمل والتكسب، فضلاً على ذلك فإن الضرائب في تلك المجتمعات، مرهقة تصل في بعض المجتمعات إلى قرابة النصف من دخول العمال والموظفين.

³² يوسف القرطبي، فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1973)، ج4، ص99.

³³ سنن الترمذي، ج3، ص46، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم ثنتان صدقة وصله".

³⁴ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على المنبر فقال: "إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض، ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ بإحداها وثنى بالأخرى، فقام رجل فقال: يا رسول الله أويأتي الخير بالشر، فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم قلنا يوحى إليه وسكت الناس كأن على رءوسهم الطير، ثم إنه مسح عن وجهه الرخضاء، فقال: «أين السائل أنفاً أوخير هو ثلاثا، إن الخير لا يأتي إلا بالخير، وإنه كلما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم... وإن هذا المال خضرة حلوة ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين وابن السبيل ومن لم يأخذه بحقه فهو كالأكل الذي لا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة» صحيح البخاري، ج9، ص436، حديث رقم 2630. محمد

عطية الإبراشي، روح الإسلام، ص: 237

³⁵ صحيح مسلم، ج8، ص20، حديث رقم 6751.

فالتكافل الاجتماعي في نظر الإسلام إذاً هو نظام متكامل يربط بين الحاجات المادية والرغبات النفسية، وهو أساس لبناء المجتمع، إذ يقوم على تربية روح الفرد والإهتمام بشخصيته وعلاقاته الاجتماعية، بنفسه أولاً، وبأسرته ثانياً، وبمحيطه المجتمعي الذي يعيش فيه.

تفعيل مبدأ المساواة العادلة: المساواة هي واجهة العدالة الاجتماعية في واقع المجتمعات لانعكاسها المباشر على حياة الناس التي يمارسونها بشكل يومي، وهي لا تعني المساواة المطلقة، بل مساواة تتواكب مع مراعاة الفروق البشرية في المقدرات والمؤهلات، والجهود، والدربة، والتخصصية... الخ. بحيث تتحقق تلك الفروق بعيداً عن الاستغلال والظلم وأن تكون واقعية، وهي في حد ذاتها محفزة للتنافس على التطوير والتنمية، إن التزمت شروطها وأسسها التي تنطوي على: عدم التمييز بين الرعية، توفير الفرص، تمكين الرعية من الاستفادة من هذه الفرص، وهذه الفرص مبنية على منظومة العدالة الاجتماعية بمفهومها الشامل وتنميتها المستدامة من خلق بيئة تعليمية تأهيلية تتيح لقدر من الناس التأهل لشغل المناصب التي تمكنهم من الاستقرار والأمن الاجتماعي، فالمساواة المطلقة التي لا تنظر لتلك المعايير، فهي مخالفة لمبادئ العدالة الاجتماعية، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يراعي الفوارق والمقدرات البشرية في تحديد المهام، فمن توفرت فيه تلك الشروط فهو أولى بأخذها حيث تقتضي مبادئ المساواة أن يكون صاحبها، خ على ذلك مثلاً فأبو ذر لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم شروط الإمارة لا تناسبه وسألها أبو ذر بقوله رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرِبَ بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف وإمناً أمانة، وإمناً يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»³⁶

العدالة الاجتماعية في الواقع المعاصر الفرص والتحديات: قضية العدالة الاجتماعية في واقع العالم الإسلامي المعاصر، في حاجة لنقد الذات، حيث تمر بكثير من التحديات، فهي تمثل الحاضر الغائب، فهي حاضرة في أذهان الناس ومطبقة في بعض جوانبها، بينما هي غائبة في كثير من مفصليات الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، من توزيع الفرص، وإتاحة المنافسة المتساوية، ونابت عنها المحسوبية، والجهل، والتسلط، الرشاوى، جعلت سيما واقع كثير من المجتمعات المسلمة تتسم بالضعف والهوان، والتبعية والتزليل والتهميش، وصارت عقول كثير من الشباب المسلم تتوق للإلتحاق بالغرب الذي وظف مفهوم العدالة الاجتماعية المادية، فنجح في هذه الجوانب، وصار مصدر جذب، غير مسبوق، بينما هذه العدالة في الغرب³⁷ تصطدم في كثير من أحيائها بثوابت الإسلام، لما انطوت عليه

³⁶ صحيح مسلم، ج9، ص347، حديث رقم 3404.

³⁷ عرف الغرب حقوق الإنسان في أواخر القرون الوسطى، عندما سحقت الشعوب الأوروبية، من الإقطاع وتسلط الكنيسة، والأغنياء، برزت فكرة حقوق الإنسان جزئياً بشكل رسمي في الدول الغربية، في القرن الثالث عشر الميلادي، نتيجة الثورات الطبقيّة والشعبية في أوروبا، في القرن الثامن عشر في أمريكا ظهرت هذه في مقاومة التمييز الطبقي، والتسلط السياسي، والظلم الاجتماعي، في القرن العشرين جاءت المؤسسات الدولية، وأعلنت ميثاق عصبة الأمم المتحدة في جنيف ثم في ميثاق الأمم المتحدة، حيث صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في عام 1948 من قبل هيئة الأمم المتحدة، ولكن هذه الحقوق التي أقرتها المنظمة يصتدم في كثير من الأحيان بمبادئ الإسلام، فالحرية قد تعني الفوضى في الغرب، أنظر: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حقوق الإنسان في الإسلام (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1419هـ)، ص16.

من إشكاليات اجتماعية تتنافى مع المعتقدات الدينية، كسفور النساء، وإباحة الخمر، وما سنته قوانينهم من سماح زواج المثلية، وهي تمثل خطر على المسلمين سيما الشباب منهم، فهم قابيلين للتغيير، ومن المعوقات المعاصرة لأسس العدالة الاجتماعية في بلاد المسلمين، ما شاب الأمة من ضعف وبعد عن قيم الدين ورؤيته العادلة، وتفشي المحسوبة، والتسلط، والجهل. ويمكن الحل في تمكين العدالة الاجتماعية بمحاربة تلك المعوقات بالعودة إلى التعليم، ومحاربة أسباب الفقر والجهل، ومناصرة المجتمع وإصلاحه، والتواصي بالحق والصبر ويمكننا تفعيل مفاهيم العدالة الاجتماعية في الواقع المعاصر من خلال النقاط التالية:

الدعوة إلى العلم ومحاربة الجهل: مدح الله تعالى العلم وبين فضله وفضل أهله، وحث عليه في أول كلمة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)﴾ العلق، وجعل العلماء هم ورثة الأنبياء، لأنهم المبلغين عن الله تعالى، قال تعالى: ﴿...وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79)﴾³⁸ آل عمران، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بيننا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم»³⁹، وهو من أعظم أبواب الصدقة، قال صلى الله عليه وسلم: «إن من الصدقة أن تتعلم العلم، ثم تعلمه ابتغاء وجه الله عز وجل»⁴⁰. وذم الله تعالى الجهل ونتائجه المترتبة عليه من ضلالات، وإفساد، وظلم، وهو عقبة كأداة في طريق العدالة الاجتماعية، وهو حاجب بين الإنسان ومعرفة حقوقه وواجباته، ورأس كل ظلم، وسبب كل محسوبة، ووراء كل دمار، وما ضلالات المشركين والمنفقين إلا بسبب الجهل والتجهلي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا»⁴¹.

توفير الفرص ومحاربة الفقر: الفقر نتاج الجهل والتهميش، والمحسوبة، وتضييق الفرص، وانشغال المسؤولين بذات أنفسهم، وتفريطهم في مسؤولياتهم، هذا من جانب ومن جانب آخر تفريط الرعية في حقوق الله تعالى بالمعاصي والكبائر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96)﴾ الأعراف، تعوذ النبي صلى الله عليه وسلم منه وذمه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خمس بخمس قالوا: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر»⁴². فمحاربة الفقر لا تتأتى إلا بمحاربة

³⁸ ربانيين: "علماء عاملين نسبة إلى الرب جل وعلا"، انظر: صحيح البخاري، ج3، ص1074،

³⁹ صحيح البخاري، ج1، ص43، حديث رقم 82.

⁴⁰ الآجري، فضل العلماء، ص38.

⁴¹ صحيح مسلم، ج8، ص58، حديث رقم 6956.

⁴² الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي الموصول: مكتبة العلوم والحكم، ط2، 1404 - 1983)

ج11، ص45، حديث رقم 11014.

أسبابه، فالنهوض بالتنمية البشرية الراشدة، وامتنال الإسلام منهجا وسلوكاً، وتنشيط مبدأ الحسبة والمسؤولية المجتمعية، والاستفادة من المواعين الاقتصادية التي كفلها الإسلام من زكاة ووقف،... الخ. هي كفيلة بخلق توازن وتراحم وتكافل، وهو سبيل التمكين لدين الله تعالى.

التجارب البشرية مهما لحق بها من إنجازات وإخفاقات فهب كفيلة بأن تكون قدوة وعظة، فما ذكر الله تعالى أخبار الظلمين وما حل بهم إلا على سبيل العظة والإعتبار، فلما قضى الله تعالى على فرعون، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ (26) النازعات، وما ذكر أخيراً أهل العدل والصلاح إلا على سبيل الإقتداء والتأسي، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (21) الأحزاب، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا»⁴³ فالتجارب البشرية كفيلة بالنهوض بالعدالة المجتمعية الهادفة إلى إعمار الأرض بما يرضي الله تعالى.

التواصي والمناصحة: من أكبر المعينات للتمكين للعدالة الاجتماعية، وهو البناء التربوي من واقع التناصح، بالحق المطلق الواجب منه والمستحب، وهو مشوار عسير أمامه عقبة كؤود هي النفس، والظلم، والطغيان. والتواصي بالصبر المطلق الواجب منه والمستحب، وهو الصبر على مكتسبات الخير، والصبر في محاربة الظلم، والطغيان، واتباع سبيل الحكمة في التغيير، والبعد عن أسباب الفرقة، وشق صفوف المسلمين، والتشهير بعلية القوم. والتواصي والمناصحة أحد سبل التمكين لقيادة البشرية، لما يتسم به التواصي والمناصحة من حراسة المجتمع ووحدة الهدف، وما يحمله من معان التفاني والتكامل والتكافل الذي يحفظ لكل فرد دوره وحقه المجتمعي⁴⁴.

⁴³ سنن الترمذي، ج4، ص364.

⁴⁴ في ظلال القرآن، ج8، ص93. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الفوائد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1393 - 1973)، ص52.

الخاتمة

- العدالة الاجتماعية من أبرز مرتكزات التنمية البشرية، وهي معيار تقدم الأمم والشعوب، وترتبط بقضايا السياسية، والدين، والاجتماع، والاقتصاد، وتنشط بشكل متفاوت وفق الحقل الذي تعمل فيه.
- العدالة الاجتماعية، في المفهوم الاصطلاحي الشرعي، هي الإسلام بتطبيقاته المختلفة، لما يحتويه من حقوق وواجبات، وهي متشعبة في جميع تلك الواجبات والحقوق، والعبادات والمعاملات، فهي الراجعة للحقوق والواجبات بكافة أقسامهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (90) النحل، حيث عدَّ الصحابي الجليل ابن مسعود هذه الآية بأنها أجمع آية للخير والشر⁴⁵. "، ولكن في اللغة لها معان متعددة ومتباينة، وهي في هذا السياق البحثي تأتي بمفهوم الاستقامة على الحق، والإنصاف، والمساواة...

⁴⁵ نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان (بيروت: لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ - 1996م) ج4، 298 - القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى: (مكة المكرمة: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1423هـ. جلس شتير بن شكل ومسروق بن الأجدع فقال أحدهما لصاحبه: حدث بما سمعت من عبد الله وأصدقك أو أحدث وتصدقني قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: إن أجمع آية في القرآن للخير والشر في سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ

- قامت العدالة الاجتماعية، على مبدأ المساواة، الحقوق والواجبات، والتكافل الاجتماعي، والحرية، المسؤولية،... الخ. وهي تختلف في تحديدها وفق المتغيرات الثقافية والمجتمعية، والاعتقادية، لكل بيئة وجماعة، ومبدأ تطبيق العدالة يتوقف على مبدأ تطبيق القانون وضعياً كان أو دينياً. لذا فإن تحديدها اصطلاحياً شابه كثير من الاختلاف.
- العدالة الاجتماعية مقصد إسلامي ارتبط بمعان روحية عميقة، تجسد في أواصر المحبة والتكافل والتآخي والتراحم. أصلها القرآن الكريم وجسدتها السنة النبوية في دولة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلافة الراشدة، رغم التعددية والتباين في المجتمع المدني.
- للعدالة الاجتماعية في تاريخ البشرية تجارب متباينة، رسمها لنا القرآن العظيم، وحثنا على الاعتبار منها، وبين لنا أن معايير تلك الحضارات التاريخية، ومصير بقائها وفنائها متوقف على موقفها من تطبيقات العدالة الاجتماعية، ولعل في قصص النمرود، وفرعون، وقوم شعيب، نماذج لانتهاكات أسس العدالة الاجتماعية. كما أن ما قام به الأنبياء والمصلحين في سبيل العدالة من جهود كدعوة إبراهيم، ونبوة وملك سليمان، ودعوة الكليم، وفوق ذلك كله دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، نماذج تطبيقية لعدالة مجتمعية متميزة.
- من أبرز معوقات العدالة الاجتماعية المعاصرة، العوز والفقير، والتسلط، والمحسوبية، والعصبية، والغش، فبمحاربة تلك المعوقات تسعد البشرية بعدالة اجتماعية سامية تقود إلى خيرى الدنيا والآخرة.

المصادر والمراجع:

- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ، 1999م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط3، 1407 - 1987م)
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ)
- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، د.ط)
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: د.علي حسن ناصر، د.عبد العزيز إبراهيم العسکر، د. حمدان محمد (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1414)

الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون(90) قال: صدقت، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ) ج2، ص473.

- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت، د.ط).
- هرمان دي كسر لنج، البحث التحليلي لأوربا، (جريدة البصائر)، ص 61-62.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ)
- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411 - 1990م)، ج2، ص 620، حديث رقم 4074.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000م، ط1)
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار الهداية، د.ت، د.ط)
- صليبا، د. جميل، المعجم الفلسفي للألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م).
- غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة عادل زعينز، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، 1957م).
- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى (مكة المكرمة: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1423هـ).
- يوسف القرضاوي، فقه الزكاة دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1973).
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري (الرياض: دار عالم الكتب، 1423هـ / 2003م).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الفروسية، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان (السعودية: حائل: دار الأندلس، د1، 1414 - 1993).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، زاد المعاد في هدي خير العباد (بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ط27، 1415هـ / 1994م).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف أحمد البكري - شاعر توفيق العاروري (الدمام: بيروت: رمادي للنشر - دار ابن حزم، د1، 1418 - 1997م).
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل دمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م).
- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال، تحقيق: بكري حياي - صفوة السقا (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1401، 5/1981م).

- محمد أحمد عبد الغني، العدالة الاجتماعية في ضوء الفكر الإسلامي المعاصر، اطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، إشراف: الأستاذ الدكتور نايف معروف 1424هـ / 2004م).
- محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، (القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1417هـ/1996م).
- مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: (دار الجيل: دار الآفاق الجديدة: بيروت،) .
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفيقي، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط1).
- نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان (بيروت: لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ - 1996م).